على شاطىء الخليج العربى

هأنذا أخيراً على شاطئك أيها الخليج العربى حرة طليقة من القيود ...

ها هى المراكب التى كانت فيما مضى تنقل المياه من البصرة إلى الكويت هادئة ساكنة وكأنها لم تكن روح الحياة لشعب فى يوم من الأيام ..

لقد ذهب مجدك أيتها المراكب كما ذهبت كثير من الأمجاد ! ...

المياه ربداء ساكنة ينعكس عليها لون السماء ...

والرمال ؟ يالهذه الرمال كم فيها من عطر ندى !

إنها تذكرنى بصحراء خالد ! إنها تذكرنى بالأمجاد ! ..

إنها تبكينى إذ أنها تذكرنى بتربة بلادى هناك فى تلك الربوع ...

إنها تذكرنى بسواحل البحر المنوسط هناك حيث الزرقة الخالصة تأسر القلوب ...

هذه الرمال ؟ إنها تذكرنى بحداء الجمال وأغانى الملاحين .

هذه السكينة ، سكينتك أيها الخليج الشرقى إنها تذكرنى بفلسفة الشرق الرصينة الساكنة ...

وهذه الأشعة الصفراء الغامضة ، إنها تذكرنى بحكمة الشرق الساحرة الغامضة ...

هذه الأضواء المتخافتة التائهة ، ما أشبهها بروحى المتواجدة التائهة !

هذه الأشعة المتصوفة الغامضة ، إنها تذكرنى بتلك الابتسامة المقتنعة الوادعة ...

إنها تذكرنى بأولئك الشيوخ السادة الفقراء ببسمتهم المتصوفة الغامضة ...

ولكنك تحيرنى أيها الخليج إذ ما بال الحركة بدأت تدب فى مياهك الساكنة ؟ !

هذه الحركة ، إنها تذكرنى بتلك الحركات العبقرية التى كانت تدب فى روح الشرق الساكنة فى أوقات متتالية فتضىء العالم بمشاعل الحق والعدالة والإيمان ...

هذه السفن الساكنة الجامدة إنها تذكرنى بتلك السفن العربية الزاهية سفن الفتح والجهاد المتوثبة الدائبة ..

هذه السفن إنها تذكرنى بمحمد بن القاسم ذلك القائد العربى الذى اقتحم الهند بلاد العطر والسحر فكأننى بالجيوش العربية المؤمنة وهى تحارب أولئك المترفين على فيلتهم فتنشر بينهم روح الإسلام الرفيعة السامية ...

حتى لكأننى بهذا البحر الأدكن وقد التهبت صفحته بحمرة النيران الهائجة وكأننى بصيحات التكبير والتهليل وقد تجاوبت فى هذه الأجواء تنبعث من المؤمنين وهم فى طريقهم إلى الفتح والجهاد ...

بى لهفة يامياه بى دمعة إذ أنك تذكرينى بقتيبة وطارق وعقبة .. إنك تذكرينى بالماضى فما أروع ذكرياتك يا مياه الخليج ! ..

لقد حضرت إليك اليوم منطلقة متحررة فما بال الذكريات تعاودنى أيتها المياه ؟

هذه الطيور الحرة المنطلقة فى سمائك إننى أريد أن أنطلق مثلها مغردة شادية ...

أريد أن أكون حرة كهذه الطيور الحرة ...

آه أيها الخليج : ليتنى ملاح أقود سفينى متنقلا فى عرض البحار أعيش كما أريد وأسير كما أريد !...

ليتنى كهذه الأشعة المتنقلة فوقك أيها الخليج ...

صيحات الطيور تحمل إلى قلبى أحلاماً حرة صافية كألوان الأفق ، أحلام ملاحين هائمين فى لج المحيط ...

أريد أن تلوحنى الشمس وأن تعبث بشعرى الريح وأن أحلق وأنا مستغرقة بلحنى كهذا الطير الطليق ...

لقد سرت بالمياه طويلا وتنشقت رائحة البحر عميقاً ولكننى مع ذلك لم أشبع ما بقلبى من أشواق ...

أشواق قلبى تائهة إذ أننى لم أعرفها حتى الآن ! ...

إننى أسير وأسير وأسير ولكننى مع ذلك أحس بقدمى مثبتتين إلى الأرض فمن لى بخفة الروح ؟

من لى بمن يحيلنى روحاً خالصة فأسير بخفة الروح ؟!.

خيبة الأمل هى وحدها التى تتلقفنى دائماً بابتسامتها الصفراء!

فماذا أريد ؟ ماذا أريد ؟ ألا يحق لى أن أعرف أيها الخليج ؟!

فأنا أرى الشىء جميلا وإخاله رائعاً ولكننى ما أن أقاربه أو أعرفه على حقيقته حتى يفقد سحره لدى وسلطانه على مما زهدنى بالحقائق .. فقد كنت إخال السير فى مياهك

(البقية على صفحة ٣١)